﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من الوعيد لعموم المتخلّفين إلى رفع الحرج عن أصحاب الأعذارِ

لمّا اشتملتِ الآية السّابقة على وعيدِ المُتَخلِّفين عن الجهادِ مع رسول الله ﷺ، وكان الوعيد شاملًا لكلِّ من تخلَّف عنه ﷺ؛ ناسب بيان من لا يشمله الوعيد على سبيل الاستثناء، بذكر الخبَر الموجب رفْعَ الحرج عن أصحاب الأعذار، فهو انتقال من الوعيد العامِّ لجميع المتخلِّفين، إلى تخصيص بعضهم؛ لِما يعتريهم من عوارضَ تمنَعُهُم مِن مزاولةِ القتال[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾: (عمي) تدور تصريفاتُه على سَترٍ وتَغطيَةٍ، ومِن ذلِكَ العَمى، وهو ذَهابُ البَصَرِ مِنَ العَينَينِ كِلتَيهِما، والفِعلُ مِنهُ: عَميَ يَعْمَى عَمًى[2].

ويُقال العمى: في افتقاد البصَر والبصيرة، وهو في الآية مِن افتقاد البصَر؛ لأنَّه في مقام رفع الحرج، وجمع أعْمَى: عُميٌ وعُميانٌ[3]، ولو كان مِن افتقادِ البَصيرةِ لَلَحِقَ صاحبَه اللَّومُ والوعيدُ.

2) ﴿حَرَجٌ﴾: (حرج) تدلُّ اشتقاقاته على تجمُّع الشَّيء وضيقه، ومِنهُ: الحَرَج والحراج، وهوَ مجتمع الشَّيئين، وتُصوِّر منه ضيقُ ما بينهما، فقيل للضَّيّق: حَرَج، وللإثم حَرَج، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 313.
(2) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة: (عمي).
(3) الراغب، المفردات: (عمي).

يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا﴾ [النساء: 65]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: 78][1]، والمراد به هنا: الذَّنب والإثم.

3) ﴿ٱلۡأَعۡرَجِ﴾: (عرج) تدور تصريفاتُه على أصولٍ ثلاثةٍ، مِنها: دلالتُها على المَيْلِ وعلى الصُّعودِ، ومنهُ: العُروجُ، وهو ذهابٌ في صعود، كما قال الله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: 4]، وقال سُبحانه: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤﴾ [الحجر: 14]، والمَعارِجُ: المصاعد، وليلةُ المعراجِ سُمّيت بذلك؛ لصعود الدُّعاء فيها، وعَرَجَ عُروجًا وعَرَجانًا؛ إذا مشى مَشْيَ العارِجِ، أي: الذّاهب في صعود، كما يُقال: درَج؛ إذا مشى مشيَ الصّاعد في درجه، وعَرِجَ: صار ذلك خِلْقَةً له[2]، وهو بسببِ ما يعتريه في رجلِه مِن أذًى.

4) ﴿ٱلۡمَرِيضِ﴾: (مرض) تدلُّ اشتقاقاتُه على ما يخرج به الإنسان عن حيِّز الصِّحَّة[3]، ومِنهُ: المَرَضُ، وهو الخروج عن الاعتدالِ الخاصِّ بالإنسان، وذلك ضربان: أحدهما: مَرَضٌ جسميٌّ، وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾، والآخَرُ: عبارة عنِ الرَّذائل كالجهل، والجُبْن، والبُخل، والنِّفاق، وغيرها من الرَّذائل الخُلقيَّة، نحو قول الله تَعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: 10][4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سماحةُ الشَّريعةِ في التَّخفيف عن أصحاب الأعذار

رفع الله تعالى في هذه الآية الحرج عن ذوي الأعذار في باب القتال، وهذه رحمة الإسلام بالمكلَّفين؛ إذ لا يُحاسب إلّا القادر، ولا يكلِّف الله تَعالى نفسًا إلّا وسعها، ولذا يقول: ليس على الأعمى

(1) الراغب، المفردات: (حرج).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرج)، والراغب، المفردات: (عرج).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مرض).
(4) الراغب، المفردات: (مرض).

ذنبٌ أو إثم في تخلُّفه عن رسول الله ﷺ، وليس على الأعرج حرجٌ كذلك، ولا على المريض حرجٌ أيضًا في ترك الجهاد؛ إذ لا قدرة له عليه، ومن يطع الله تَعالى، ويطع رسول الله ﷺ في كلِّ أمرٍ ونَهْيٍ يُدْخله جنّات تجري من تحتها الأنهار، ومَن يتولَّ مُعرِضًا عن أمر الله سُبحانه وأمر رسوله ﷺ مُؤْثِرًا نفسَه وهواه، يُعذِّبه عذابًا أليمًا، ويدخله جهنَّم، وساءت مصيرًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

رفْعُ الحرجِ عن الزَّمنى دونَ سؤالٍ أو عتابٍ

أثار وعيدُ المُخلِّفين الخوفَ في نفوس المؤمنين من عموم الوعيدِ لَمن تخلَّف عن القتال، فحرَّك سؤالًا في نفسِ المخاطَب، فحواه: إذا كان هذا الوعيد للمُخَلَّفين؛ فما بال أهل الزَّمانة وذوي الأمراض، هل يلحقهم مِن الإثم ما لحِقَ هؤلاء؟ فجاء قول الله تَعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ استئنافًا بيانيًّا مفصولًا عن سابقه، كما يُفْصَلُ الجواب عن السُّؤال؛ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصال بين الآيتين، مع ما فيه من حُسنِ البيان في الكشف عن سماحة الإسلام؛ إذ لم يُعْوِزْهُم إلى التَّصريح بالسُّؤال، وإنَّما أجابهم رافعًا عنهم الحرَجَ الَّذي يختلِج في نُفوسِهم.

غرضُ التَّعبير بالجملة الاسميَّة:

مراعاةُ أصحاب الأعذار الدّائمة بدوام نفي الحرج عنهم

جاء قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ جملة اسميَّة منفيَّة بـ﴿لَّيْسَ﴾؛ ليدلَّ على نفي الحرج على الدَّوام، فهو نفيٌ ثابت لا يتغيَّر بتغيُّر الأحوال، فكما أنَّ مرض الأعمى والأعرج ثابتان، فكذلك رفْعُ الإثم عنهما، وأمّا المريض؛ فهو كذلك ملحقٌ بهما؛ لأنَّ المراد به على الغالب المَرَضُ المُزْمِن، بخلاف الطّارئ فعذرهُ

(1) الحجازي، التفسير الواضح: 3/ 487.

طارئ، ويُرفع عنه العذر بمجرَّد الصِّحَّة، وهذا من كمال رأفة دين الإسلام وسماحته.

غرضُ تقديمِ متعلِّق خبرِ ليس على اسمها:

مـواسـاةُ أهـلِ الأعـذارِ بـذِكْـرِ سـبَـبِ رفـعِ الحَرَجِ ابتداءً

قُدِّم المسنَدُ ﴿عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ﴾، وهو متعلِّق خبر ﴿لَّيْسَ﴾، على اسمها، وهو: ﴿حَرَجٌ﴾ مِن قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾؛ للتَّصريح بذكر سبب رفْعِ الحرج ابتداءً، وهو العمى، فهو تقديم السَّبب؛ ليُعلم المقصود وتحقيق توقُّعه قبل ذِكره، مع ما فيه من مراعاة الصِّناعةِ النَّحويَّة، وهو كونُ الاسمِ نكرةً، فالتَّقديم يَحْمِل في مضمونه مواساة أصحاب الأعذار والاهتمام بهم، والتَّأكيد على عدم التَّغافل عنهم أو تجاهلهم.

نكتةُ استعمال حرف الاستعلاء:

جاء استعمال حرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ في قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾؛ ليرفعَ عن كاهله اللَّوم وتأنيب الضَّمير، فإنَّ الحرج مرفوعٌ جملةً عن الأعمى والأعرج والمريض، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الحرج واقعٌ في حقِّ مَن هو بخلاف أولئك المذكورين ومَن في حكمهم.

نفيُ الحرجِ عن أصحابِ الأعذارِ يَـقْـتَـضِي ثبوتَ الـحـرَجِ عـن غيرهم

نكتةُ تنكير لفظ ﴿حَرَجٌ﴾:

نُكِّر المسندُ إليه - اسم ليس - وهو لفظ ﴿حَرَجٌ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾؛ لإرادة التَّقليل، وذلك ليُرفع عنهم أدنى درجات الحرج والضّيق، حتى تقرَّ عيونُهم أبدًا، أي: ليس عليهم أقلُّ الحرج، وإذا نُفي أقلُّ الحرج وأدناه؛ فإنَّ نفي ما فوقَ ذلك مِن بابٍ أولى وأحرى.

التَّنبيهُ بنفي الأدنى على نفي الأعلى

دلالةُ العَطف ومقصدُه:

رفْعُ الحرجِ عن الأعـرج تـابـعٌ لحُكم رفعِه عن الأعمى

عُطِف على جملة: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ قولُه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾؛ للتَّوسُّط بين الكمالين، فهما جملتان خبريَّتان لفظًا ومعنًى، بينهما رابط قويٌّ، وهو رفْعُ الحرج عن الأعرج، وذلك لجعل

الأعمى - وهو أشدُّ أنواع المرض المُبعد عن القتال - أصلًا، وما بعده معطوفًا عليه؛ ليأخذ حكمَه، مع إرخاء الشُّعور بالراحة، وهو امتداد لإبراز سماحة الإسلام.

فائدةُ تكرار لفظ (حَرَجٌ):

رفْعُ الحرجِ عن كلِّ نوعٍ أقوى في تطييبِ النُّفوس

جاء تَكرار لفظ (حَرَجٌ) في الجمل الثَّلاث المعطوفة، وذلك في قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾؛ للعناية بحالِ كلٍّ منهم على سبيلِ الاستقلالِ، وللإشعار بأنَّ تقديم الأعمى في الذِّكر، لا يعني التَّبعيَّة الكاملة، بل لكلٍّ منهم حرجٌ مرفوعٌ يخصُّه؛ إمعانًا في تطييب نفوسهم، ورفعِ الضّيق عنهم.

نكتةُ تَكرار النَّفي بحرف (لا):

تـأكـيـدُ نـفـي الـحـرج ودفْـعُ توهُّم الاجتماع

كُرِّر النَّفي بحرف (لا) في قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾؛ ليدلَّ على تأكيد نفي الحرج مع استقلاليَّة كلِّ عُذر في رفع الحرج؛ لئلّا يُتَوَهَّم اشتراطُ اجتماعِها في نفي الحرجِ.

ولمّا كانت (ليس) فعلًا للنَّفي من أخوات كان، وهي تشمل نفْيَ الحالِ والماضي والمستقبل، إلّا إذا خُصَّت بقرينة الحال[1]، وكانت (لا) لنفي الحاضر والمستقبل؛ بدأ بما هو لمُطْلَق النَّفي؛ ليعمَّ جميع الأزمنة، وهو (ليس) مسلَّطًا على الأعمى لفظًا وعلى ما بعده معنًى؛ ليستغرق نفيُ الحرج كلَّ زمان.

نوعُ ترتيب الأصناف الثَّلاثة وبلاغتُه:

الـتَّرتـيـبُ على طـريـق الـتَّـدلّي بـذكـرِ الأشـدِّ فالأخفِّ

بدأتِ الآية بذكْرِ الأعمى فالأعرج فالمريض، وذلك لأنَّ الأعمى أشدُّ أنواع المانِعات من القتال، ثُمَّ ثُنّيَ بالأعرج باعتبار وجود ما يمنعه مِن الحركة الكاملةِ، والقدرةِ على العمل المُتقَن، ثُم ثُلِّثَ

(1) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني: 493 - 499.

بالمريض؛ ليَدْخُلَ فيه مجموعةٌ من أنواع الأمراض المزمِنة، أو الَّتي تحتاج إلى وقتٍ ممتدٍّ في علاجها، باعتبارِ الشُّمول والعموم، فيعمَّ بذلك جميعَ المرضى الَّذين تمنَعُهم أمراضُهم من القتال، فلَيسَ عَلى الأعمى حَرَجٌ، وإن أمكنَه القتال بإحساس صوتِ مَشْيِ العدوِّ ومشي فرسِه، لكن يصعُب عليه حفظُ نفسِه عنه، ولا عَلى الأَعْرَجِ حَرَجٌ، أي: وإن أمكنه القتال قاعدًا، لكن لا يُمكِنُه الكرُّ والفرُّ، ولا يقوى قوَّةَ القائم، ولا عَلى المَريضِ حَرَجٌ، أي: فإنَّه وإن أمكنه الإبصار والقيام، فلا قوَّة له في دفْعِ العدوِّ، فضلًا عن الغلبة عليه[1].

معنى الواو ودلالتها:

الثَّوابُ والعقاب نـــاشئٌ مِـن الـتَّـخـفـيـف في الشَّريعةِ

جاءت الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ عاطفة لقاعدة عامَّة ناشئة من التَّخفيف في الدّين حين أشار تعالى إلى أنَّ هؤلاء - وإن فاتهم الجهاد - لا ينقص ثوابهم؛ إذا أطاعوا الله تعالى ورسوله ﷺ، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، أي: ومن يتولَّ عن طاعتهما، وإن كان أعمى أو أعرجَ أو مريضًا[2].

غرضُ التَّعبير بأسلوب الشَّرط بأداة (مَنْ):

الإيـمـاءُ إلى الـتَّـسـويـة بين العبادِ في أصلِ الطَّاعة

دلَّ الشَّرطُ بأداة (مَنْ) في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ على العموم، فيدخل في ذلك المذكورون من أصحاب الأعذار دخولًا أوَّليًّا، وغيرُهم من الأصحّاء؛ ليقومَ كلُّ عبدٍ بما عليه من واجبٍ، وللإشارة إلى أنَّ كلَّ نفس رهينة بما كسبت من خير أو شرٍّ، لا فرق في ذلك بين عبد وآخر، بما يُفْهِمُ مَعْنى العُموم والشُّمول.

دلالةُ استعمال مفردة ﴿يُطِعِ﴾ مادَّةً وصيغة:

دلَّ استعمال فعل الشَّرط ﴿يُطِعِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 496.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 497.

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ على كون المطيعِ مقبلًا على الله تعالى، وذلك لمُقابلته فعلَ التَّولّي في الجملة المعطوفة، وهي ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، ففيه مزيدُ مدح وثناء على المطيع المُقبِل، كما أنَّ صيغة المضارع تدلُّ على تجدُّد الطّاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ في كلِّ أمر بالامتثالِ، وفي كلِّ نهي بالتَّرك والاجتنابِ، ووراءَ ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ العباداتِ لا تُنتَقى، والطّاعاتِ لا تُختار.

تضمُّن فعل الطّاعة معنى الإقبال

غرضُ التَّعبير بالاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهَ﴾:

جاء ذكر الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ مفعولًا به لفعل الطّاعة؛ تعظيمًا وتقديسًا لهذه الطّاعة، وزرعًا للهيبةِ في النُّفوس، وبيانًا أنَّها مصدرُ أمنِ العبد في الدُّنيا والآخرة، وأنَّ الدّين لا يُؤْخَذ بالأهواءِ والتَّشهّي، وإنَّما يُؤخذ من عند الله تعالى، فالتَّشريعُ له وحدَه، والأمر والنَّهي بيده دون سواه.

التَّشريعُ لله تعالى وحدَهُ

دلالةُ عطف الرَّسول على الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهَ﴾:

عُطف قوله: ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ على الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ الدّين لا يكمُل إلّا بالطّاعتَيْن؛ طاعةِ الله تَعالى وطاعة رسوله ﷺ، ولا يُمكن الفصل بينهما، أو استقلال إحداهما عنِ الأخرى.

بيانُ التَّلازم بين طاعةِ الله تعالى وطاعةِ رسوله ﷺ

غرضُ التَّعبير بجواب الشَّرط فعلًا مضارعًا:

جاء جواب الشَّرط ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ فعلًا مضارعًا؛ لتحفيزِ المؤمنين على استحضار صورة دخول الجنَّة؛ حثًّا على التَّمسُّك بِطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وأنَّ جزاءَ ذلك سيكون يوم الجزاءِ.

استِحضارُ صورَةِ دُخولِ الجِنانِ

تعيينُ مرجِع الضَّمير في قوله: ﴿يُدْخِلْهُ﴾:

يرجع الضَّمير في ﴿يُدْخِلْهُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ إلى (مَنْ) باعتبار لفظها؛ فإنَّ لفظها مفردٌ مذكَّر،

عمومُ البُشْرى لكلِّ مُطيع

و(مَنْ) دالَّةٌ في معناها على كلِّ مَن يُطيع الله ورسوله ﷺ؛ لِما تقرَّر من أسماءَ الشَّرط مفيدةٌ العمومَ، وفائدة هذا زفُّ البشرى إلى كلِّ مطيع؛ لرَبْطِ الجزاء والثَّواب بالعملِ الصّالِح.

توجيهُ القراءات القرآنيَّة:

التَّكاملُ الدَّلاليُّ للقراءاتِ

اختلف القرّاء في قول الله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ و﴿يُعَذِّبْهُ﴾، فقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو جعفرٍ بالنّون: ﴿نُدْخِلْهُ﴾ و﴿نُعَذِّبْهُ﴾، وقرأ الجمهور: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ و﴿يُعَذِّبْهُ﴾ بالياء[1]، ففي قراءة النّون التفاتٌ مِنَ الغَيبَةِ إلى التَّكلُّم، وهي أظهر في إرادة العظمةِ، وأدخَلُ في الإخافةِ والتَّرهيبِ، وأبلغُ في الإنعام والتَّرغيب[2]، وفيها إيماءٌ إلى قدرة الله جلَّ في علاه، وأنَّ زمامَ أمر الثَّواب والعقاب في الآخرة بيده وحده دون سواه، وقراءة الجُمهور بالياءِ فيه جَرْيٌ عَلى أُسلوبِ الغَيبَةِ بِعَودِ الضَّميرِ إلى الاسم الأحسَن ﴿ٱللَّهَ﴾[3].

فائدة جمع ﴿جَنَّٰتٍ﴾ منكَّرًا:

تعظيمُ الجنّات في الأذهـــان وتفخيمُ شأنِها في الآذان

آثر النَّظم الكريم التَّعبير بصيغة الجمع المُنَكَّر لِلَفْظ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ مِن قول الله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ وذلك لتعظيم تلك الجنّات وتفخيم شأنها، وبيان أنَّها جنّات تناسبُ سعةَ عطاءِ الله تَعالى، كما يُفيد الجمعُ الكثرةَ بما يتوافق مع مقام الثَّواب على الطّاعات، فإنَّ الله تعالى أعدَّ جنّاتٍ كثيرةً لعبادِه، وكثرة الجنّاتِ وتنوُّعُها هو بِحَسَبِ دَرجاتِ أهل التَّقوى، فإنَّهم في رُتَبٍ متباينَةٍ حسَبَ تحقُّقِهم مِن كَمالاتِ التَّقْوى.

وفي إبهامِ الجنّات فائدةٌ في تحريك الأذهان؛ لتذهَب النَّفسُ كلَّ مذهبٍ في تصوُّر جلالها وجمالها وبهائها.

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 248.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 315.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 172.

بلاغةُ الوصفِ بالجملة الفعليَّة:

قُيِّد لفظ ﴿جَنَّتٍ﴾ في قول الله تعالى: ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ بالصِّفة؛ ليدلَّ على كمال النَّعيم وتمام المنَّة، فوُصِف المفعول به بجملة: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ لتفخيم هذه الجنّات وبيان ما توحي به من جمالٍ وجلال، فإنَّ الصِّفة تُزيل شيئًا من إجمال الموصوف، فتَنْقُله من الإبهام المحضِ إلى شيءٍ مِنَ البيان، وهو المُسمّى بالتَّخصيص، وقد أفاد التَّعبيرُ بالفعل المضارع ﴿تَجۡرِي﴾ استحضارَ صورة النَّعيم؛ ليرى المؤمنُ كمالَ نِعَم الله تعالى عليه بما أولاه إيّاه مِن نعيمٍ في المَظْهَر والمَخْبَر؛ ليُمتِعَ بذلك الجسدَ والبصر، والنَّفس والرّوح.

مِـــن كـمـالِ النَّـعـيـم تـمـام راحة المُقيم

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتها:

﴿مِن﴾ في قول الله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الابتداء، وقد أفاد أنَّ جريان الأنهار يبدأ من تحتِ تلك الجنّات، وأنَّها أسفل الجنّات، وهو ما يزيدُها جمالًا في نفسِها وشوقًا إليها.

تـزيـيـنُ الـجـنَّـة في قُـلـوب الـعِـبـاد لـلـتَّـشْـويق إلَيها

بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

أصلُ الجَرْي في كلام العرب: شِدَّةُ سُرعةِ المَشي، وإطلاقُهُ على سَيَلان الماء سَيلًا متكرِّرًا مُتَعاقبًا مَجازٌ[1]، وفي تخريجه مَسْلَكان:

أحدهما: أنَّه مجازٌ بالاستِعارَة، ووجهُهُ: أنَّه شُبِّهَ سيَلان الماءِ سَيلًا مُتَكرِّرًا متعاقِبًا لشِدَّة سُرعة المشي؛ لجامعِ سُرعة الانتقال والحركةِ في كلٍّ منهما، فيكونُ مِنَ الاستعارَةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

والآخَرُ: أنَّه مجازٌ مُرسَلٌ بعلاقةِ الإطلاق والتَّقْييد، فأصلُ الجري: شدَّةُ سُرعة المشي، ثُمَّ أُطلِقَ عَن قَيْدِ المشي، واستُعمِلَ في شِدَّة السُّرعةِ مطلقًا.

جـمـالُ الـجـنَّـة وجـــمـــالُ مـا اشـتَـمَـلَـت عـلـيـه مِنَ النَّعيم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 354.

وهو على كِلا الوَجهَينِ أدخَلُ في مَدْحِ الماءِ الجاري؛ لاقتِضائِهِ المُبالغةَ في جِدَّته بشدَّةِ جَرْيه.

غرضُ تقديم شبه الجملة على الفاعل:

الإنبـاءُ إلى ما في المـقـدَّم من عجيبِ الأنباء

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ على الفاعل ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يكون محطُّ القدرةِ أمامَ النَّفس، وذلك بتقديم متعلِّقات الفعل على الفاعل؛ ليثير كوامن دَهشَتِها؛ إذِ التَّحتيَّة هي محلُّ التَّعجُّب، فالجنّات تجري الأنهارُ من تحتِها في حالٍ بديعَةٍ تأخذُ بالعُقول والألبابِ، فكان في التَّقديم تنبيهٌ على أهمّيَّة الالتفات إلى نعمة المُقدَّم ذِكْرُه؛ لِما فيهِ مِنَ العَجَبِ العُجاب.

نكتةُ جمعِ ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وتعريفِها:

بيانُ كثرةِ أنواعِ الأنهارِ المذكورة في القرآنِ

جاء المسند إليه في قول الله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ جمعًا؛ لبيان أنَّ الماءَ الَّذي يجري تحتَ تلك الجنّات ليس مقصورًا على نهرٍ واحد، وإنَّما هو أنهارٌ متعدِّدة لا تَتناهى، وهذا الجمع أظهرها في أبدع صورةٍ وأعجب مشهَدٍ.

و(أل) في ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ من قولِ الله تعالى: ﴿يُدۡخِلُهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ لِتَعْريفِ الجِنسِ[1]، فتَكونُ في قوَّة النَّكرة.

ويَحتَمِلُ أن تكون لِلعَهدِ التَّقديريِّ، وذلك أنَّه لَمّا ذُكِرَت الجنّاتُ؛ استَحضَرَ السّامعُ لوازمَها ومقارناتِها، فساغَ للمتكلِّم أن يُشير إلى ذلك المعهودِ، فجيءَ بـ(أل)[2]، ويَحتَمِل أن تكون لِلعَهْدِ الخارجيِّ، والإشارةُ فيهِ إلى قَولِ الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ [محمد ﷺ: 15][3].

ولَم تُضَفِ الأنهارُ إلى ضمير الجنّاتِ بأن يقال: (تَجْري مِن

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 107.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 354 - 355.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/ 69، والآلوسي، روح المعاني: 1/ 204.

تحتِها أنهارُها)؛ لِما في الإضافة مِن كُلْفَةٍ في الكلام، وللتَّنْبيه على أنَّ نعمةَ الأنهارِ مُسْتقِلَّةٌ، فيكون التَّمَتُّع بها تنعُّمًا مستقِلًّا لا تبعًا للجَنّات[1].

ومالَ ابنُ عاشور إلى أنَّ تعريفَ الأنهار إنَّما هو للتَّفنُّنِ؛ لئلّا يُعادَ التَّنكيرُ مرَّةً أخرى بعد تنكيرِ (جنّات)[2].

دلالةُ العطف بَيْنَ المتقابِلَيْن:

العاقِلُ يَختارُ ما حَسُنَت عاقِبَتُه

عطْفُ فعل ﴿يَتَوَلَّ﴾ على فعل ﴿يُطِعِ﴾ - من قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمَا﴾ - يقتضي الجمعَ بين مَشهَدَين مُتقابلَين، وهما المُطيع المقبل على الله تعالى، والمُتَوَلّي المُعْرِض عن الله تعالى؛ لتوضَع الحالانِ أمام العاقل يختارُ أيَّهُما شاءَ، وعطْفُ الجملتين المتقدِّمتين من بابِ التَّوسُّط بين الكمالين؛ لاشتراك الجملتين خبرًا، وبينَهما مناسبة في اللَّفظ والمعنى، فأمّا التَّناسُبُ اللَّفْظيُّ؛ فاتِّحاد الجملتين في الفِعْليَّة والمضارعيَّة، وأمّا التَّناسُبُ المعنويُّ؛ فلِما بينَهما من الجامعِ الوهميِّ وهو التَّضادُّ.

بلاغةُ استعمال أسلوب الشَّرط:

إظهارُ العدل الإلهي في اختيار طريق الرُّشد من الغيِّ

جاء التَّعبيرُ بأسلوب الشَّرط في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمَا﴾؛ ليبرز عقاب العاصي المعرض في مقابلة ثواب المطيع المقبل على الله تعالى، وفي ذلك بيانُ أنَّ التَّولّي هو سببُ العذاب، كما أنَّ الطّاعة هي سبب دخولِ الجنّات، وأنَّ الله تعالى لا يظلِم أحدًا، وإنَّما هو اختيارُ العبد لطريقِه في الدُّنيا، الموصل إلى أحد المآلين في الآخرة، فكانَ الشَّرط مُظهِرًا العدْلَ الإلهيَّ في إرخاء عِنان الاختيار للعباد، وإعلامهم بما يترتَّب على كلِّ طريق، ليَحْمِل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 355.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 355.

النَّفس على التَّسليم والإذعان لمراد الله سُبحانَهُ، مع ما في ذلك من التَّرهيب عن الإعراضِ عن الله تَعالى والتَّرغيب في الإقبال عليهِ.

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿يَتَوَلَّ﴾ مادَّة وصيغة:

المتولّي كارهٌ للطّاعة مدبرٌ عن الحقّ

دلَّ فعل الشَّرط ﴿يَتَوَلَّ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بمادَّته على تبشيع صورة الإعراض عن الله تعالى والتَّنفير منها؛ إذِ التَّولّي هو الإعراض مع كراهية المُعْرَض عنه، فتضمَّن بذلك معنى المعصيةِ الشَّنيعة، وذلك بدلالته اللُّغويَّة، ومقابلته لِفعْل ﴿يُطِعِ﴾، ودلَّ بمُضارعيَّته على أنَّ المراد: من يتجدَّد منه التَّولّي، ولا يجِد من نَفْسِه دافعًا يستحثُّه على الرُّجوع إلى الله تعالى، فالتَّولّي المترتِّب عليه العذاب الأليم هو المداومُ عليه إعراضًا عن الطّاعة، بخلافِ ما وقعَ عارضًا من غيرِ كراهيةِ المُعرَضِ عنهِ، بل وقعَ لغلبةِ الشَّهوةِ والهَوى، فإنَّ صاحبَهُ وإن كان مؤاخذًا في الحالِ إلّا أنَّه مظنَّةُ الرُّجوع والأوبَةِ، وما كان كذلك؛ فهو أحرى بقبولِ الله تَعالى توبتَهُ وأوبتَهُ.

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿يُعَذِّبْهُ﴾ مادَّةً وصيغة:

الجزاء من جنس العمل، ومن ألحقَ العذابَ بالمؤمنينَ عُذِّب

جاء استعمال مفردة ﴿يُعَذِّبْهُ﴾ جوابًا للشَّرط ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ التَّولّيَ لونٌ من ألوان العذابِ الَّذي يُلحقه المعرض بجماعة المؤمنين، فإنَّ التَّولّيَ عن الطّاعة، والإعراضَ عن القتال في سبيل الله تعالى يُلحق الضَّرر بالمؤمنين، ولذا جاء الثَّناء بعدها على المؤمنين، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، فناسب ذِكر العذاب؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل، فمَن أعرض، وتولّى، وهو يعلم أنَّه يُلحق الأذى والضَّرر والعذابَ بأهل الإيمانِ، فإنَّه مستحقٌّ العذابَ الأليم.

وجاء التَّعبيرُ عن فعل العذابِ بصيغَةِ المُضارعِ زيادةً في التَّرهيب

والتَّهويل والوعيدِ، وإيماءً إلى تجدُّدِ العذابِ على المتولّي كما كان هوَ مجدِّدًا الإعراضَ.

غرضُ تنكير لفظ ﴿عَذَابًا﴾:

تهويلُ العذاب وتفظيع شأنه

نُكِّر لفظ ﴿عَذَابًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ تهويلًا وتفخيمًا لِشأن العذاب وتفظيعًا لحاله؛ لِما في تنكيرِ لفظِ ﴿عَذَابًا﴾ من الإبهامِ، فتذهبُ النَّفسُ كلَّ مذهبٍ في تصوُّرِ صنوفِ العذابِ.

نكتةُ وصف العذابِ بالإيلام:

الأليمُ عذابٌ مؤثِّرٌ غير ظاهر كالعظيم والكبير

آثر النَّظم الكريم وصفَ العذابِ بكونه ﴿أَلِيمًا﴾ في قول الله تعالى: ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ لبيانِ شدَّة العذاب، وقوَّة إيلامه في النَّفس؛ جزاءً وفاقًا لمن تولّى، وأعرض عن أمر الله تعالى، فإنَّ مَن يتولّى عن أمر الله تعالى، ويُدبِّر؛ فإنَّه يُلحِق الألم بالمؤمنين، ولمّا كان الألمُ خفيًّا غير ظاهر؛ ناسب وصف العذاب بالأليم دون الكبير أو العظيم، فالجزاء من جنس العمل.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"